هدية العائد

(اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟)

اسماء بنت الصديق •

في اللحظة التي يستقبل فيها اللاجيء عاما جديدا
بنقة (يتآمر كل شيء على هدمها) .. لا يستطيع ان ينسى
انه اضاف عاما اخر الى سلسلة اعوام النفي والتشريد .

... وهداياي لكم يا رفقاء
هذه اللعنة : مر عام
وازددنا خواء !!
مثلكم عدت لاقضي العمر ،
قولوا :
كيف من اطرافه الحبل قبضتم
لستم موتى ، ولستم شهداء !!
اين سوق الكلمات الزور ،
سوق اللون ،
من امهر من يغسل لطخات الرداء ؟!
كيف اقصي — ان ذكرت البيت —
طيف البيت عن عيني ،
الغي الامس بالضحكة ،
امضي — مثلما تمضون صبحا — :
« دم هابيل هباء
ودم الصديق ... »
اه .. كيف يحيا دون ان يبعث من خان يهوذا —
اولا يشعر بالاثم ،
يشير الشيء بالاصبع ان مر ،
الا يخشى الضياء ؟!!
اي نوح كان من انقذنا بالامس
من جرح
ليلقينا على الشاطيء موتى ... اغبياء ؟!
انت ماذا — لو تسمى باسمها الاشياء —
من هم — لو يباح القول ساعات —
غواة ، ام خواة ،
ام فقاعات هواء ؟!
كيف يا قادم من شط بعيد
توقد النار ،
يكون الزحف ،
يحيا ويموت الشرفاء ؟!

قلة هم — لو ازلت العهر في الكلمة يوما
او حككت الجلد بالظفر —
بارضي الشرفاء !!
يتحدى ذل ايوب رماد القبر جهلا —
هو لو مات لعافت لحمه الديدان ،
ردته الى الارض بلاء !!
كيف لا تدمع للصفعات ،
لا تحرق ما تبصر
عين تتغذى الحقد ،
لا تغضب ،
لا تحتج في العرق الدماء ؟!
كيف لا يصرخ ميت :
« ليكن باسمي موت للذي يحفر قبري ،
ليكن للاخر العار
وللعالم في الصبح الفناء » ؟!
اي نوح كان من انقذنا بالامس
من جرح ،
ليلقينا الى التيه
بلا وعد ،
بلا ثار
عراة ... فقراء ؟!
انني عدت — وخلفي العام —
قولوا :
ما هداياكم لهذا العائد المجنون ،
قولوا :
كيف من اطرافه الحبل قبضتم —
لستم موتى ،
ولا اشباه احياء ،
ولستم شهداء !!

دخان (قطر)

حسن النجمي